



السرديات السيمائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية

سحنين علي
الجزائر

السرديات السيمائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية

سحنين علي - الجزائر

المخلص: تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جانب مهم في التجربة النقدية السيمائية للباحث "رشيد بن مالك"، وهو محاولة مقارنة الجانب التنظيري لهذا الخطاب وتتبع تمفصلاته والكشف عن مدى فاعليته وجدواه، لاسيما فيما يتعلق بالتأسيس والتأصيل للنظرية السيمائية. هذا بالإضافة إلى جهود الباحث الترجمية والمصطلحية.

الكلمات المفتاحية: السرديات، التنظير، في تجربة رشيد بن مالك.

Semiotic Narratology and the Discourse Theorizaion of Rachid bin Malek's Critical Writing

Sahnine Ali

*University of oum el bouaghi, City 16 logement Commune of Ain Soltane, willaya of saida, Algeria.
Email: sahnineali20@gmail.com*

*Received: 16 Sep. 2013; Revised: 9 Oct.-20 Nov. 2013; Accepted: 20 Dec. 2013
Published online: 1 Jan 2014*

Abstract: This study examines an important aspect in the semiotic critical experience of the Algerian researcher "Rachid ben Malek," It is an essay approach attempting to explore theoretical side of this discourse and tracking its parts and disclose its effectiveness and utility, particularly with respect to the establishment of the theory of semiotics. This is in addition to the research efforts in translation and terminology.

Keyword: Semiotic narratology, criticism, criticism of criticism.

السرديات السيميائية وخطاب التنظير في تجربة رشيد بن مالك النقدية

سحنين علي - الجزائر

تمهيد:

لقد أصبح إعمال النظريات النقدية الغربية الحديثة في الوسط النقدي العربي المعاصر ضرورة حتمية وملحة أملت ظروف معينة وحساسيات جديدة، حتمت على النقد أن يغير منطلقاته القديمة ويتجاوز تلك النظرة السلفية الماضوية في قراءة الأعمال الأدبية وتحليلها. ولقد أثبتت الدراسات جدارة هذه النظريات النقدية وتفوقها في استتطاق النصوص الأدبية والكشف عن خباياها ومكوناتها وإضاءة الكثير من جوانبها الغامضة.

ومواكبة منه للوضع الثقافي العام الذي تشهده السيرة التاريخية أثر الناقد الجزائري الإفادة من هذه المناهج والنظريات النقدية النصائية الغربية، رغبة منه في تجديد القراءة والوعي بالنص الأدبي، ومساهمة في الوقت ذاته في تحديث وعصرنة النظرية النقدية في بلادنا.

ومن بين طرق التحديث والعصرنة التي سلكها الناقد الجزائري في بلورة خطابه النقدي الجديد هو إعلان انفتاحه - بداية من ثمانينيات القرن العشرين - على النظرية السيميائية الغربية، وبالأخص النظرية السيميائية الفرنسية ذات التوجه الغريماسي، حيث أفاد من مقولات غريماس السيميائية ونظرياته المتعلقة بتحليل النصوص والخطابات السردية.

في هذا الإطار تنتزل أعمال ودراسات الباحث "رشيد بن مالك" ضمن الجهود النقدية الجزائرية الميممة وجهتها شطر السرديات السيميائية أو السيميائية السردية (اتجاه مدرسة باريس) بكثير من الاقتدار العلمي والمنهجي لاسيما تحكّمه في المنهج ووضوح رؤيته النقدية، ولاشك أن هذه الأخيرة هي ما يميز تجربته النقدية ويشجع على قراءة مشروع السيميائي، فهو منذ دراساته الأولى قد أفصح بدقة عن مرجعيته النقدية وعن ولائه المنهجي الكامل للجهود السيميائية الفرنسية والغريماسية تحديداً¹، فلم يترك لنا - بخصوص ذلك - أي مجال للتساؤل أو التأويل أو الترجيح.

ولئن كان الباحث صريحا - في أكثر من موضع - وحريصا على دقته في اختيار المنهج، تجنبنا للوقوع في فخ الانتقائية أو التلقيق، فلأنه

¹ نلمس ذلك جليا من خلال أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه الموسومة بـ: (السيميائية بين النظرية والتطبيق): رواية جامعة تلمسان، 1994، 1995. وقد صدر له في هذا المجال أيضا العديد من الدراسات نوردها متسلسلة حسب تواريخ صدورها.
- مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000.
- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001.
- السيميائية: أصولها وقواعدها (ترجمة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.
- السيميائية: مدرسة باريس (ترجمة)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- تاريخ السيميائية (ترجمة)، منشورات مخير الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر، ودار الأفاق، الجزائر العاصمة، 2004.
- السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
- السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ (ترجمة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

الغربي، والمؤطرة لهذا الخطاب النقديّ الحداثي، فكلّ خطاب حسب رأي "محمد عابد الجابري" يصدر عن رؤية، ولا بد: إما صراحة وإما ضمنا. والوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروريّ لاستعمال المنهج استعمالا سليما مثمرا...³، ذلك لأنّ هذه الرؤية هي التي تؤطر المنهج وتحدّد له أفقه وأبعاده⁴.

ومن هذا المنطلق ينبغي أن يكون تحديث الخطاب النقديّ الجزائريّ وليس التحديث العلمي المقصود مجرد النقل الحرفي والآلي لأدوات وإجراءات غربية يجهل أصلها ونسبها، بدعوى أنّ المناهج العلمية ملك مشاع، وإنجاز إنساني للجميع، ولعلّ من لم يسهم في تشكيلها أشدّ حاجة إليها ممن توفّرت لديه العوامل لإنضاجها وبلورتها⁵.

وتلك هي المفارقة - حسب رأينا - بأن يتحدّث الناقد الجزائريّ المتمثّل لمناهج ونظريات وإجراءات ومصطلحات مستعارة، ومقطوعة الصلّة بأسسها وخلفياتها المعرفية، ثمّ يدعي البحث عن خطاب نقديّ جزائريّ أصيل شكلا ومضمونا⁶.

لذلك لا ينبغي علينا - والحالة هذه - أن ننظر إلى الخطاب السيميائيّ على أنّه مجرد مجموعة أدوات وإجراءات نقدية، يُتوسّل بها في تحليل النصوص والخطابات الأدبية، وإنما باعتباره رؤية منهجية أفرزتها الظاهرة العلمانية الغربية، تحمل في طياتها وفي مضامينها ومدلولاتها شحنات معرفية وفلسفية وعقائدية، وتعكس أبعاد البيئة الثقافية والحضارية التي تنتمي إليها.

وفي هذا السياق الذي يراعي الأصول العلمية والمعرفية، والمنطلقات الفكرية والفلسفية، التي

كان يروم استثمار مقولات النظرية السيميائية وإجراءاتها التحليلية من أجل التأسيس لمشروع نقديّ ضخم ونظرية سيميائية لتحليل الخطابات السردية وسير أغوارها.

بناء على ذلك تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جانب مهم في التجربة النقدية السيميائية للباحث "رشيد بن مالك"، وهو محاولة مقارنة الجانب التّظيري لهذا الخطاب وتتبع تفصيلاته والكشف عن مدى فاعليته وجدواه لاسيما فيما يتعلق بالتأسيس والتأصيل للنظرية السيميائية. هذا بالإضافة إلى جهود الباحث الترجمة والمصطلحية.

1- في التأسيس والتأصيل للنظرية السيميائية (البعد الإيبستيمولوجي):

إنّ مهمة البحث في الأصول العلمية والمعرفية التي تنبني عليها المناهج والنظريات النقدية، ومساءلة أبعادها الفلسفية والإيبستيمولوجية، هي السبيل الوحيد الذي سيمكّننا من استيعاب هذه النظريات النقدية والوقوف على أبرز مفاهيمها التّظيرية وإجراءاتها التّطبيقية، قبل إعمالها ودمجها في الساحة النقدية العربية، إذ لا ينبغي أن نكتفي بتقديم هذه المفاهيم والمقولات مفصولة عن جذورها وأصولها التي انبثقت عنها، ولا نُقدم - كما تقول "يمنى العيد" - على "نقلها وتكرارها، بوضعها قيد الاستعمال في سوق النّقد الأدبيّ (...). بل بإعادة إنتاجها بالشغل على النصّ الأدبيّ"². الأمر الذي من شأنه أن يضيف على هذه المناهج والنظريات الوافدة إلينا طابع الخصوصية العربية، ويؤدّي إلى التّأصيل المنهجيّ، وبالتالي يخلصها من قيود التبعية الكأية للنّقد الغربيّ.

بيد أنّ ذلك لن يتأتّى في ظلّ القطيعة الإيبستيمولوجية التي يشهدها خطابنا النقديّ المعاصر - في بعده الحداثي - مع أصوله وخلفياته المعرفية الممتدّة في حقول الفكر النقديّ

³ الجابري (محمد عابد)، نحن والنّثر: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص:37.

⁴ المرجع السابق، الصفحة السابقة.

⁵ العيد (يمنى)، في معرفة النصّ الأدبي، ص: 22.

⁶ ينظر: هامل (بن عيسى)، واقع الخطاب السيميائيّ في النّقد الأدبيّ الجزائريّ، رسالة ماجستير (مخطوط)، قسم اللغة لعربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2005، 2006، ص: 03.

² العيد (يمنى)، في معرفة النصّ الأدبي، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص: 22.

المصطلحات والمفاهيم اللسانية (مبدأ المحايثة، مبدأ الاختلاف (سوسير وهيلمسليف)، المربع السيميائي، الملفوظ السردّي، الكفاءة والأداء (تشموسكي)، التي نهضت وتخلّقت بها السيميائيات وكسبت تواجدها ومشروعيتها، مراعيًا في ذلك الطّريقة التي تمّ بها نقلها من بيئة اللسانيات إلى حقل السيميائيات (السيميائية السردية)⁹.

أما الشقّ الثاني من هذا القسم النظري، فقد تقصى من خلاله الأصول الشكلانية للنظرية السيميائية، باعتبارها خلفية معرفية أخرى أثرت المشروع السردّي الغريماسي، حيث ضبط الباحث - في البداية - التوجّه الشكلانيّ الرّوسيّ العام في الممارسة النّقديّة، ثمّ تتبّع بعد ذلك النموذج البروبي، فقيد الانتقادات التي وجهها إليه "غريماس"، وأسّس بناء عليها خطاطته السردية التي تعدّ سندا مهماً لفهم تنظيمات النصوص والخطابات السردية¹⁰.

بهذا يكون الباحث "رشيد بن مالك" قد توصّل إلى تحديد أصليين أساسيين من أصول النظرية السيميائية (أصل لساني وأصل شكلاني)، مهمته في ذلك ربط هذه النظرية بخلفياتها ومرجعياتها الأولى التي أمدتها بالسند العلمي والمعرفي، وكذا تقرب المعرفة السيميائية وتسهيل سبل استيعابها وإدراكها لدى القارئ العربيّ والجزائريّ بصفة خاصّة.

إنّ هذه المهمة التأسيسية والنّظريّة للنظرية السيميائية، التي نهض بها الباحث "رشيد بن مالك" في كتابه (مقدمة في السيميائية السردية)، قد فرضت عليه مواصلتها في دراساته وترجماته اللاحقة، يظهر ذلك جلياً في ترجمته لكتاب "جان كلود كوكي" (السيميائية مدرسة باريس)، الذي يعالج أهمّ الاتجاهات الألسنية ومختلف المنابع والمشارب العلمية التي نهلت منها السيميائية في بناء قواعدها وأسسها، وترجمته أيضاً، لكتاب (تاريخ السيميائية) للباحثة الفرنسية

تستمدّ منها المناهج والنّظريات إجراءاتها وأدواتها التّظهيرية والتّطبيقية، يقدّم لنا الباحث "رشيد بن مالك" نظريته السيميائية (نظرية غريماس)، وذلك من خلال التّاريخ لها بالعودة إلى أصولها وأسسها ومرجعياتها التي تهض بها في بناء تصوّراتها ومفاهيمها العلمية وإجراءاتها التحليلية. فهو أحد النّقاد الجزائريين الذين تلقّوا المعرفة السيميائية من مظانها ومنابعها الأصلية، وبطريقة مباشرة، وذلك أثناء الفترة الدّراسية التي قضّاها بفرنسا على يد أعمدة النّقْد السيميائيّ هناك، وبالأخصّ أستاذه "غريماس" صاحب هذه النظرية (السيميائية السردية).

ويعدّ كتابه (مقدمة في السيميائية السردية) من بين أهمّ مؤلفاته "التي تنزع منزع التّأصيل والتّأسيس، عبر ردّ النظرية إلى أصولها ومنابعها الأولى، وتفحص دلالات المفاهيم والمصطلحات ضمن هذه الأصول، لمعرفة حقيقتها وبالتالي التعرّف إلى مدى التّطور أو التحوير الذي لحقها بعد نقلها من بيئتها الأولى أو استثمارها من قبل نظرية أو نظريات أخرى"⁷.

في القسم النظري من هذا الكتاب يتعرّض الباحث للأصول اللسانية والشكلانية، التي أسهمت في بلورة النظرية السيميائية (نظرية غريماس)، حيث يقول في مستهلّ هذه الدراسة: "سنسعى في هذا البحث إلى دراسة الأصول اللسانية والشكلانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية (مدرسة باريس)، واستمدت منها مصطلحيها العلمية، مع إجراء تعديلات على مفاهيمها تقصياً في ذلك الانسجام مع التوجّهات الجديدة للبحث السيميائي المعاصر"⁸.

وقد خصّص الجزء الأول من هذا القسم النظري لتحديد هذا الدّعم المنهجي الذي قدّمته اللسانيات للسيميائيات، فقام برصد بعض

⁷ عقّاق (قادة)، الخطاب السيميائي في النّقْد الجزائريّ المعاصر (نظرية غريماس نموذجاً)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، منشورات مكتبة الرّشاد للطباعة والنّشر والتّوزيع 4، 2005، ص: 61.
⁸ ابن مالك (رشيد)، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000، ص: 05.
⁹ ينظر: ابن مالك (رشيد)، المصدر السابق، ص: 5، 28.
¹⁰ ينظر: المصدر نفسه، ص: 28، 35.

تواليها نظاما قادرا على كشف بنية المكوّن السردّي.¹¹

أما المبحث الثاني، فهو عبارة عن ترجمة لنص يعرض فيه الباحث "برنار بوتّي" مناقشة تحليلية لبعض القضايا النظرية المتعلقة بالمستوى السطحيّ في المشروع السردّي الغريماسيّ (إشكالية الثابت والمتحوّل في البرنامج السردّي) انطلاقا من فرضية تطورية طبيعية.¹²

وأما المبحث الثالث، فقد خصّصه الباحث لترجمة نص لـ: "جان كلود كوكي"، متعلّق بالسيرة الذاتية والعلمية لـ: أ.ج.غريماس¹³.

تعدّ هذه الدراسة (البنية السردية في النظرية السيميائية)، وبخاصة في قسمها الأول-في نظر الباحث- امتدادا لمشروعه النقديّ السيميائيّ، وذلك من حيث الإطار المنهجيّ العام الذي يركز أساسا على التدقيق في المفاهيم والأدوات النظرية والاشتغال على المصطلح السيميائيّ، فهي واحدة من المحاولات النقدية الجادة والتميّزة في الدراسات السيميائية العربية، إن على مستوى الطرح المنهجيّ الذي يقدّمه الباحث، أو على مستوى الأهداف والنتائج المحقّقة.

أما عن المنهج، فيلاحظ أنّ الدراسة قد جمعت بين التنظير، والتطبيق، والترجمة لنصوص في النظرية السيميائية، وبهذا يكون الباحث قد حقّق نوعا من التكامل بين الأجزاء المكوّنة لهذه الدراسة، بحيث لا يشعر القارئ معه بالانفصال، فكلّ العناصر تتألف وتتعلق في إطار نسيج منهجيّ عام يقوم على مقدّمة ضابطة للعمل وعناصر متكاملة.¹⁴

وقد قام الباحث - في هذا الإطار المنهجيّ العام - بعرض جملة من القضايا المتعلقة بالبنية

"أن إينو"، الذي ينزع نحو التأريخ للحركة السيميائية، وبالأخصّ جهود: "غريماس"، والبحث في الأصول العلمية والأسس الإبيستيمولوجية التي أسهمت في بلورة نظريته.

لكنّه وعلى الرّغم ممّا قدّمه الباحث "رشيد بن مالك" في ميدان التأسيس والتأسيس للمعرفة السيميائية، إلا أنّه ما تزال حاجتنا ملحّة وضرورية لمثل هذه الجهود التأسيسية، التي تسائل نشأة وميلاد هذه النظريات الغربية، وتعمل على ربطها بأسبقيتها الثقافية والمعرفية المكوّنة لها، والتي من شأنها أن تسهم في بلورة الوعي النقديّ وتأسيس المعارف الدخيلة.

2- في التنظير للنظرية السيميائية:

يعدّ كتاب (البنية السردية في النظرية السيميائية) من بين أهمّ مؤلّفات الباحث "رشيد بن مالك"، التي يعمد فيها إلى التنظير للنظرية السيميائية (نظرية غريماس). فهو إذا كان في كتابه الأول (مقدّمة في السيميائية السردية)، قد حاول التأسيس لهذه النظرية بردها إلى أصولها وربطها بأسبقيتها المنتجة لها، فإنّه يحاول من خلال هذه الدراسة مواصلة بناء مشروعه النقديّ والتأسيس لنظرية سيميائية لقراءة وتحليل النصوص السردية، وذلك عن طريق الاقتراب أكثر من مفاهيمها وأدواتها ومصطلحاتها محاولا تبسيطها وتقريبها أكثر من القارئ العربيّ بعامّة والجزائريّ بصفة خاصّة.

تتضمّن هذه الدراسة ثلاثة مباحث أساسية، يسعى الناقد من خلال المبحث الأول "إلى النظر في المكوّن السردّي، والآليات التي تحكمه، والقواعد التي تضبطه بدءًا من التحديد النظريّ للبرنامج السردّي الذي يستند إلى تحليل مكوّنات البنية السردية، وفحص العلاقات الموجودة بين الفاعل والموضوع والتي ترتبها في وجودها إلى مجموعة من الحالات والتحويلات التي تكون في

¹¹ ابن مالك (رشيد)، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص: 08.

¹² ينظر: ابن مالك (رشيد)، المصدر السابق، ص: 44-47.

¹³ ينظر: المصدر نفسه، ص: 52-116.

¹⁴ ينظر: شرشار (عبدالقادر)، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2006، ص: 106.

أثهما شيء واحد، أقدم على تبسيطهما ورفع اللبس والتداخل الذي يشوبهما، انطلاقاً من البحوث اللسانية التي استثمرها "غريماس" في بناء مشروعه السيميائي.

وقد خلص الناقد بعد استعراضه لمختلف التفسيرات المتعلقة بالموضوع والقيمة (في البحوث اللسانية، القيمة اللسانية في مظهرها المفهومي، وفي مظهرها المادي، وفي البحوث السيميائية)، إلى "أن الموضوع لا يدرك في استقلالته بل في تحدياته، وأن هذه التحديدات ترسم في المظهر الخلفي للموضوع الذي يؤسس قيمته اللسانية ويعدّ في ذات الوقت سناداً مرهوناً بوجود القيم. تأسيساً على هذا، فإن التقاط المعنى لا يلقى في طريقه إلى القيم التي يرتبها إليها الموضوع في وجوده".¹⁸

أما القيمة اللسانية فهي أيضاً لا تتحقق في تفردها ولا توظف لذاتها بل تستمد وجودها من علاقة الفاعل بالموضوع، التي يكون فيها الفاعل ملزماً بتحقيق الرغبة ومجبراً على الصراع من أجل امتلاكها.¹⁹ وعلى هذا الأساس جاء تعريف "غريماس" للموضوع باعتباره "مجالاً توظف فيه قيم تتصل بالفاعل أو تفصل عنه".²⁰

وبناء على هذا التعامل مع المفاهيم، يتجلى المنطلق المنهجي لهذه الدراسة، التي تعمل على ضبط المفهوم وتدقيقه عن طريق ربطه بمطانه ومنابعه الأصلية التي نشأ فيها وتبلور، مع الاحتفاظ بلغة المفهوم كما جاءت في الدراسة الأصل، وإيجاد معادل لها في لغة الهدف.²¹

وقد قام الباحث بعد تحديده المفصل المفهومي (الموضوع والقيمة)، بتقديم عرض تحليلي للبرنامج السردية، ولأسس النظرية التي يبنى عليها، ولمكوناته، ولأطواره المتعاقبة (التحريك،

السردية في النظرية السيميائية والمكونة لها كالآتي:

2.1- مفهوم الحالة والتحويل: يربط الناقد - في إطار دراسته للبنية السردية في النظرية السيميائية - بين مفهومي الحالة والتحويل مستنداً إلى العلاقة القائمة بين الفاعل وموضوع القيمة، ومن خلال تركيزه على المفهومين يصف البنية السردية في النصّ بأنها: تتقدم على شكل تتابع للحالات والتحويلات المتنوعة التي توظف وتتحكم في جميع العلاقات القائمة بين العوامل.¹⁵

وقد ينتج عن سلسلة الحالات والتحويلات الحاصلة على مستوى البنية السردية مجموعة من الاتصالات والانفصالات يعبر عنها الباحث بـ: (الملفوظ الوصلي، الملفوظ الفصلي، ملفوظ الفعل، التحويل الوصلي، والتحويل الفصلي).

ومن أجل توضيح هذه المفاهيم، لجأ الباحث إلى الاستعانة ببعض الأمثلة البسيطة، التي من شأنها أن تسهل عملية إدراك واستيعاب هذه المفاهيم، من ذلك شرحه لمفهوم الحالة بقوله: "تعبّر الحالة في النظرية السيميائية عن الكينونة Etre [وجدت زيدا مريضاً] أو الملك Avoir [يملك زيد ثروة]. وتستعمل للدلالة أيضاً على العلاقة / الوظيفة [و / ف] التي تربط الفاعل بالموضوع [ف، م]."¹⁶

2.2- تحديد العلاقة بين الفاعل والموضوع: وقد سعى الباحث إلى تحديد هذه العلاقة (الفاعل/ الموضوع) باعتبارها تكتسي أهمية كبيرة في التحليل السردية؛ إذ تبنى عليها طموحات الفاعل، وفي إطارها تتوزع الأدوار، وتتولد الرغبات ويحدثم الصراع ويشدّ التنافس.¹⁷

3.2- تحديد مفهوم الموضوع ومفهوم القيمة: لما رأى الباحث أنّ هناك كثيراً من البحوث السيميائية العربية تستعمل هذين المفهومين على

¹⁸ المصدر السابق، ص: 20.

¹⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص: 15.

²⁰ A. j. (Greimas), j. (Courtes), sémiotique dictionnaire raisonné, de la théorie du langage, hachette, paris, 1979, p: 259.

²¹ ينظر: شرشار (عبدالقادر)، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص: 106.

¹⁵ ينظر: شرشار (عبدالقادر)، المرجع السابق، ص: 106.

¹⁶ ابن مالك (رشيد)، البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص: 11، 12.

¹⁷ ينظر: ابن مالك (رشيد)، المصدر السابق، ص: 15.

الدغمومي " كفيلة بتحقيق ذلك، ويحددها في ما يلي²⁴:

- إسناد البحث عن هذه النظرية وصنعها لفريق من الباحثين.
- الانطلاق من الواقع الأدبي المعاصر.
- الانطلاق من موقف تراثي محدد.
- الانطلاق من المناخ الأدبي المعاصر.²⁵

3- في الترجمة للنظرية السيميائية:

سعيًا منه لإثراء مشروع النقد، وخدمة للقارئ العربي والجزائري بصفة خاصة، بإغناء معرفته السيميائية وجعله يواكب مستجدات وتطورات الزمان النقدي الغربي، عمل الباحث "رشيد بن مالك" على ترجمة نصوص في النظرية السيميائية (نظرية غريماس) ضمنها مؤلفه الضخم (السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ) الصادر سنة 2008 عن دار مجدلاوي للنشر والتوزيع (عمان، الأردن)، مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة.

تتضمن هذه الدراسة (السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ)، ست ترجمات متنوعة لنصوص في النظرية السيميائية موزعة على ستة أبواب. فأما الباب الأول، فهو ترجمة لكتاب (تاريخ السيميائية) للباحثة الفرنسية "آن إينو"، الذي تعرض فيه المسار التاريخي للتفكير السيميائي الأوربي، باتجاهاته المختلفة، وأعلامه ورواده، بداية من تأملات "فردينان دو سوسير" اللسانية ومرورا بجهود هلمسليف، و"إميل بنفنيست"، و"تروبتزكوي"، و"رومان جاكوبسون" التي عملت على تطوير أفكار "سوسير" اللسانية، وانتهاء بإسهامات الشكلايين الروس والبنوي "فلاديمير بروب"، الذي شكّلت مورفولوجيته للحكاية الشعبية الروسية سندا معرفيا ومنهجيا مهما لمدرسة باريس السيميائية ولرائدها الأول "غريماس" في بناء مشروع السيميائي.

الكفاءة، الأداء، والتقويم)، مستعينا في ذلك ببعض الرسومات البيانية، رغبة منه في توضيح المفاهيم وتبسيطها، وجعل القارئ العربي يتكئ على أرضية صلبة تمكنه من اختراق حجب الضوابط التي كثيرا ما كانت تبدو مغلقة، نظرا لكثافة النصوص الأصلية في موضوع السيميائية وتراكم مصطلحات هذا العلم، ومبدأ الاختزال الذي تلتزمه في كثير من الأحيان الدراسات الغربية على اعتبار أن القضايا المطروحة فصل فيها النقاش، وأصبحت أمرا معروفا، لا يستدعي التفصيل والتفسير.²²

بناء على ذلك، فإن هذه الدراسة (البنية السردية في النظرية السيميائية) تعدّ من البحوث العربية المؤسسة لقراءة النظريات السيميائية وبالأخص نظرية "غريماس"، إذ تكمن أهميتها في مرجعيتها النظرية التي يسخرها الباحث للكشف عن مختلف الجوانب والقضايا النظرية التي تتأسس عليها السيميائية السردية²³ في بناء تصوراتها ومنطقاتها ومفاهيمها التفسيرية والتحليلية.

وإذا كان الناقد "رشيد بن مالك" يهدف بذلك، ومن خلال هذه الدراسة إلى التأسيس لنظرية نقدية عربية حديثة في مقاربة وتحليل النصوص الأدبية، فإنه يحقّ لنا - في هذا المقام - أن نتساءل عن مدى تحقق ذلك، لأنه ليس من السهل الحديث عن نظرية نقدية عربية حديثة في ظلّ الانتشاق والاختلاف الذي تشهده الساحة النقدية العربية بعامّة، كما أنه لا يمكن تحقيق ذلك بوساطة جهد فرديّ يقوم به ناقد واحد، لاسيما وأنّ مثل هذا العمل يعدّ مشروعاً نقدياً يتطلب جهوداً مضمّنة وإسهامات كثيرة لعدد من النقاد والباحثين المتخصّصين. إضافة إلى ذلك فإنّ هذا العمل التأسيسي الذي يدّعي صنع نظرية نقدية عربية حديثة يتطلب الانطلاق من جملة من المبادئ يراها الناقد المغربي "محمد

²⁴ ينظر: الدغمومي (محمد)، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص: 83، 84.
²⁵ ينظر: الدغمومي (محمد)، المرجع السابق، ص: 84.

²² شرشار (عبدالقادر)، المرجع السابق، ص: 105، 106، 22.
²³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 107.

النص الأدبي كتجلّ لكلام الإيحاء، إشكالية النص الأدبي كانزياح بالنسبة للمعيارية).²⁹

ثم بعد ذلك يتطرق الباحث إلى إشكالية السيميائيات الأدبية ومفهومها في الخطاب النبوي الذي تأثر بأعمال: (سوسير، هلمسليف، تتيير، جاكوبسون، ليفي ستروس، غريماس، جان كلود كوكي، جوزيف كورتيس، توما بافيل، فرانسوا راستيه، كلود بريمون، كلود شابرول، جيرار جينيت، بول لاريفيه، وتودوروف)، وفي الخطاب المابعدى / أوالضد نبوي الذي تبنته "جوليا كريستيفا" في سيميائيتها التحليلية.³⁰

وقد انتهى الباحث "ميشال أرفيه" في الأخير إلى تحديد مفهوم للنص من منظورين مختلفين: منظور السيميائية النبوية، ومنظور السيميائية التحليلية.³¹

وقد خصص الباحث "رشيد بن مالك" الباب الثالث لترجمة نص: (السيميائية نظرية لتحليل الخطاب) للسيميائيين "جان كلود جيرو" و"لوي باننيه"، وهو عبارة عن دراسة تتناول بشكل مبسط أهم القضايا والمبادئ الأساسية التي يقوم عليها التحليل السيميائي: تحليل المستوى الخطابى (الصور، المسارات الصورية، القيم الموضوعاتية، الصوري / الموضوعاتية)، وتحليل المستوى السردى (أطوار الرسم السردى التحريك، الكفاءة، الأداء، التقويم)، البعد الجدالي، المستوى المعارف، المستوى التداولي، التصديق)، وتحليل المستوى المنطقي الدلالي (المرجع السيميائي، نظام العلاقات ونظام العمليات).³²

وفي الباب الرابع يقدم الباحث على ترجمة دراسة أخرى بالاشتراك مع الناقد "عبد الحميد بورايو"، وهي دراسة تطبيقية للباحث "جوزيف كورتيس" بعنوان (التحليل السيميائي للخطاب:

وقد ركزت الباحثة الفرنسية في هذه الدراسة على أعمال "غريماس" السيميائية، باعتبارها تمثل استثماراً حقيقياً للإرث النقدي السابق، الذي مكّنه من صياغة نظرية سيميائية متجانسة ومتكاملة في تحليل الخطابات السردية، كما قامت الباحثة - في هذا الصدد - بعرض هذه الأسس النظرية والنقدية التي بنى عليها "غريماس" نظريته، من خلال تتبعها لأهم أعماله النقدية والسيميائية.²⁶ لتنتهي في الأخير إلى القول بأن: "التعريف الحقيقي للسيميائية هو تاريخها".²⁷

وأما الباب الثاني، فقد خصصه الناقد لترجمة نص (السيميائية الأدبية لميشال أرفيه)، الذي يطرح العديد من القضايا المتعلقة بالنظرية السيميائية، من ذلك: إشكالية تعدد المصطلحات والتسميات الخاصة بالسيميائية (السيميائية، السيميولوجيا، السيميائية التحليلية... إلخ)، وكذا الفروقات والاختلافات المنهجية والمصطلحية بين النقاد المعاصرين (بيرس، سوسير، هلمسليف، غريماس، رولان بارت، كريستيفا، روسي، ولاندي... وغيرهم) حول مجالات وميادين استعمالات هذه المصطلحات المتعلقة بالسيميائية.²⁸

قضية أخرى يعالجها الباحث "ميشال أرفيه" في هذا النص، تتعلق بذلك بالامتزاج وتلك التقاطعات المنهجية التي تشهدا السيميائية الأدبية مع غيرها من الحقول المعرفية والنقدية المعاصرة (اللسانيات، الأسلوبية، الشعرية... وغيرها). إضافة إلى مناقشته لبعض القضايا الإشكالية الأخرى التي تخص مفهوم الأدبية (إشكالية النص المفتوح أو المغلق، إشكالية

²⁶ ينظر: ابن مالك (رشيد)، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ (ترجمة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص: 159-181. وينظر: أن (ابنو)، تاريخ السيميائية،

²⁷ ترجمة: ابن مالك (رشيد)، مراجعة بوزيدة (عبدالقادر) وبوراو (عبدالحميد)، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر ودار الأفاق، الجزائر، 2004، ص: 104-124.

²⁸ ابن مالك (رشيد)، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ، ص: 185. ينظر: ابن مالك (رشيد)، المصدر السابق، ص: 197-201.

²⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص: 201-213.

³⁰ ينظر: المصدر نفسه، ص: 213-224.

³¹ ينظر: المصدر نفسه، ص: 225.

³² ينظر: المصدر نفسه، ص: 229-244. وينظر: ابن مالك (رشيد) السيميائية: أصولها وقواعدها (ترجمة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص: 105-125. وينظر أيضاً: مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، ع04، 1996، ص: 211-226.

الأول، يخص ترجمة الأعمال التطبيقية السيميائية؛ ذلك لأنّ الساحة النقدية العربية تفتقد إلى مثل هذا النوع من الدراسات، وإن وجدت، فإنّ القارئ العربي يجد مشقة ومعاناة كبيرة في فهمها واستيعابها، وفك رموزها ومصطلحاتها. فهو يقرأ ويبذل مجهودا كبيرا لاستساغة فكرة أو إدراك مفهوم، أو لفهم ما يترجم إلى اللغة العربية، ولكنه ربما لا يجد إلى ذلك سبيلا. فكيف يتمثل ما يقرأ - يتساءل الباحث - وهو يفتقر إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعتها السيميائية، أو قد يفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذلك وهذا التيار أو ذلك.³⁶

إضافة إلى ذلك - يواصل الباحث - فإنّ كثيرا من الترجمات العربية ترد مفككة ويغلب عليها الغموض والتضارب في الآراء والخط بين المفاهيم، واستعمال مصطلحات مضطربة، تؤثر سلبا على البحوث النقدية العربية، التي لم ترق إلى وضع استراتيجيّة بحثية تهدف إلى توحيد الترجمة المصطلحية. فهذا الوضع المتأزم الذي آل إليه القارئ العربي - يضيف الباحث - من شأنه أن يضع بينه وبين المعرفة الوافدة أو الجديدة جدارا سميكاً، يصعب عليه اختراقه لتحقيق التّواصل العلميّ الإيجابي.³⁷

إنّ هذا الوضع المأزوم - يقول الناقد رشيد بن مالك - "هو الذي حرّضني على تبني الاختيار الثاني، الصادر عن قناعتني بأنّ القطيعة بين القارئ العربي والتيارات البنوية والسيميائية، تفسر بعض جوانبها بافتقار المكتبة العربية إلى المؤلفات المتضمنة الأصول العلمية التي مهّدت لظهور السيميائية. ويعتبر إدراك هذه الأصول التي تتفرّع إلى حقول معرفية متنوّعة أساسا في خلق المرجعية العلمية، التي استمدت منها السيميائية أجهزتها المصطلحية وأدواتها الإجرائية المتبدية بشكل واضح في التمارين

التشاكل والترابط بين التعبير والمضمون: الموكب الجنائزي).

تحاول هذه الدراسة التطبيقية - كما يقول المترجمان - أن تسخر النظرية السيميائية لفهم وتأويل الظواهر النصية والاجتماعية، بوصفها مجموعات دالة يتطلب إدراكها، وبناء عناصرها من الداخل والاطلاع على الآلية التي تحكمها.³³

وقد بين المترجمان أنّ هناك اعتبارين أساسيين يقفان وراء اختيارهما لترجمة هذا النص. أولهما: إشعار الباحثين المهتمين بالدراسات الأنثروبولوجية بأهمية الاقتراب السيميائي من الظواهر الاجتماعية، وضرورة العمل على تجديد الخطاب في العلوم الاجتماعية باللجوء إلى الأدوات الإجرائية المسخرة في التحليل السيميائي، وثانيهما: إشعار القارئ العربي بأنّ التحليل السيميائي تجاوز دراسة النصوص إلى حقول معرفية أخرى، وهذا دليل على فعاليته العلمية.³⁴

ثم جاء الباب الخامس ترجمة لنصّ (السيميائية: مدرسة باريس) لمؤلفه "جان كلود كوكي"، الذي يتناول رسدا لأهمّ الإنجازات التي حققتها مدرسة باريس السيميائية، ويقدم تحليلا معمقا للتيارات اللسانية والعلمية، التي كان لها عميق الأثر في تبلور المعرفة المنهجية والسيميائية واختبارها، أثناء التصدي للظواهر الموضوعية قيد الدراسة والتحليل. وقد اعتبر الباحث أنّ هذه الترجمة تأتي امتدادا طبيعيا لبحوثه السابقة، التي تهدف إلى رسم النقاط العلمية التاريخية والأسس الإيبستيمولوجية للبحوث السيميائية الراهنة.³⁵

وقد قدّم الباحث الأسباب الحقيقية التي دفعته إلى ترجمة هذا النص؛ إذ يقول إنّه وقف حائرا - قبل ترجمة هذا النص - بين اختيارين: الاختيار

³³: ينظر: ابن مالك (رشيد)، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ، ص: 20.

³⁴: ينظر: المصدر السابق، الصّفحة نفسها.
³⁵: ينظر: المصدر نفسه، ص: 11. وينظر: كوكي (جان كلود)، السيميائية مدرسة باريس، ترجمة: ابن مالك (رشيد)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

³⁶: ينظر: ابن مالك (رشيد)، السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ، ص: 11، 12.
³⁷: ينظر: المصدر السابق، ص: 12.

السيميائيات، وذلك بحكم دراسة النقاد المغاربة في الجامعات الغربية وإتقانهم للغات الأجنبية، ومعرفتهم باللغة الأصل واللغة الهدف.

صحيح أنه لا يمكن إنكار جهود "رشيد بن مالك" في ميدان الترجمة للنظرية السيميائية، غير أن ما يؤخذ على المترجم - رغم اهتمامه الواسع بالمصطلحية - اشتغاله - في أحيان كثيرة- بالترجمة الحرفية للمصطلح، التي يصعب عليها التواصل مع المصطلح النقدي العربي دون مراعاة الاصطلاح اللغوي والمعرفي والنقدي، كما هو الحال في هذا النص المترجم من قبل الباحث: "نعد إلى أوريليا Aurélie: من هي هذه الزوج التي هي أنا وخارج أنا. هل هي قرينة Double الأساطير...؟ (...)", مهما يكن من أمر، فإنني أعتقد أن الخيال الإنساني، لم يكتشف شيئاً باطلاً، سواء في هذا العالم أو في العوالم الأخرى، ولا أكاد أشك فيما رأيته بشكل متميز. في هذا الموقع بالذات ينوب الاعتقاد الأكيد للفاعل الشعري عن المعرفة الصادقة للفاعل الديكارتية.⁴⁰

إن القارئ العربي الذي تُرجم له هذا النص يجد نفسه ضائعاً أمام لغته الرمزية وإحالاته الغائبة، لذلك يحق لنا-أمام هذا الوضع - أن نتساءل عن أوريليا التي ذكرها المترجم في هذا النص، وعن الفاعل الشعري، وعن الفاعل الديكارتية، وعن المعرفة الصادقة. فالباحث اكتفى بالترجمة الحرفية ولم يجهد نفسه في شرح هذه القضايا المستغلة واختراق أبعادها الدلالية والفكرية الموعلة في عمق الثقافة الغربية، وذلك من خلال استنثاره لهوامش ترجمته.

إن التعريب المقصود هنا ليس مجرد النقل أو الترجمة الحرفية، وإنما التعريب الذي يتواصل مع اللغة العربية وموروثاتها. بمعنى أن يكون المترجم - كما يقول "الجاحظ" - عارفاً باللغة المنقولة، واللغة المنقول إليها.

التطبيقية، لهذا كله أقدمت على ترجمة هذا النص³⁸.

آخر وثيقة أو آخر نص يعمل الباحث "رشيد بن مالك" على ترجمته - في هذه الدراسة - هو نص: السيرة الذاتية والعلمية ل: "أ.ج.غريماس" لصاحبه "جان كلود كوكي" أيضاً.

تعد هذه الدراسة رسداً لأهم إنجازات الحركة السيميائية ذات التوجه الغريماسي، حيث سعى الباحث "ج.ك. كوكي" من خلالها "إلى التأريخ لهذه الحركة، وتجليه أرضياتها البحثية، والتوجهات العلمية التي مهدت لظهورها والجمعيات الدولية، التي تبنت طروحاتها ومراكز البحث التابعة لها، وذلك من خلال السيرة الذاتية والعلمية للباحث أ.ج. غريماس، الذي يعد واحداً من المؤسسين البارزين للسيميائية. ولم يكتف الباحث كوكي بالتدقيق في أهم الملابس التاريخية، التي رافقت نشأة السيميائية، بل تعدى ذلك لينقل القارئ إلى محطات أخرى، بهدف الكشف عن التوجهات المعرفية لغريماس، وإسهاماته العلمية المتنوعة في تخصصات مختلفة"³⁹.

بهذه الدراسة (السيميائية: الأصول، القواعد، والتأريخ) يكون الباحث "رشيد بن مالك" قد وضع بين يدي القارئ العربي ست ترجمات متنوعة في النظرية السيميائية لها أهميتها العلمية البالغة ومكانتها المتميزة في الوسط النقدي السيميائي العربي بعامة والجزائري بصفة خاصة، فهذه النصوص السيميائية المترجمة، وإن كانت لا تكاد تخرج مجتمعة عن إطار التوجه السيميائي الذي رسمه "غريماس" وأتباعه (مدرسة باريس)، فإنها تعد مرجعاً علمياً مهماً للنقاد والأساتذة والطلاب الجامعيين، ليس فقط من حيث قيمتها العلمية، وإنما في ظل الفراغ الزهيب الذي تشهده حركة الترجمة في بلادنا (الجزائر) مقارنة بها في المغرب الأقصى، حيث عرفت الساحة النقدية المغربية حركة ترجمة نشيطة في مجال

³⁸. المصدر نفسه، ص: 12.

³⁹. المصدر نفسه، ص: 13.

⁴⁰. المصدر السابق، ص: 338.

إنّ ما يمكن أن نخلص إليه هاهنا هو أنّ ما يميّز الجهود التّرجميّة العربيّة بصفة عامّة والجزائريّة بصفة خاصة افتقارها لاستراتيجية ترجمة وتعريب تراعي خصوصيات المصطلح السيميائيّ في بيئته وفي البيئة المنقول إليها، وكذا وقوع هذه الأعمال والجهود المترجمة في الانتقائية وافتقارها إلى الجهود المتخصصة والواعية بقضايا التّرجمة والتّعريب والمصطلح. إضافة إلى ذلك عدم توحيد الجهود في ترجمة الأعمال والمصطلحات السيميائية، فكّل ناقد قد انطلق من اجتهادات شخصيّة تختلف عن اجتهادات غيره من النّقاد، وهو الأمر الذي نهض به الباحث "رشيد بن مالك" في ترجماته السابقة، وفي قاموس مصطلحات التّحليل السيميائيّ للنصوص.

4- في المصطلح السيميائيّ:

تعدّ معضلة ضبط المصطلح السيميائيّ* من الإشكاليات العويصة، التي تقف حجر عثرة أمام الفارئ العربيّ المهتمّ بالبحث السيميائيّ، ولعلّ المتأمل في واقع مصطلحات القاموس التّقديّ السيميائيّ العربيّ، يجد نفسه ضائعاً أمام ترسانة هائلة من المصطلحات والتّرجمات المختلفة حتّى بالنسبة للمصطلح الواحد.

نمّثل لهذه الفوضى ولهذا الاضطراب المصطلحيّ بالتّرجمات المتعدّدة التي اتّخذتها مصطلحات (Sémiologie، Sémiotique)، حيث أحصى الباحث الدكتور "يوسف وغيلسي" ستاً وثلاثين ترجمة عربية لمصطلح Sémiologie سيميولوجيا و Sémiotique سيميائية⁴⁴ (السيميائية، السيميولوجيا، السيميائيات، السيميائية، السيميوتيك، السيميوطيقا، الدلالية، علم الدلائل، علم الأدلّة، علم العلامات... وغيرها). وأحصى ما يقارب العشرين ترجمة

وعلى هذا الأساس، فإنّ الترجمة ليست عملاً بريئاً، باعتبارها إحدى أكثر الممارسات اللّغويّة تعقيداً نظراً لما تتطلبه من مهارة تمثّل النّص المترجم تمثيلاً مدركاً لخصائصه البنيويّة وقرائنه التّقافيّة، فهي لا تقتصر على عمليّة التّحويل والنّقل من لغة إلى لغة أخرى، أو التّعامل مع اللّغة كمرصوفة من الكلمات المعزولة عن سياقها الحضاريّ أو التّقافيّ، وإنّما ينبغي النّظر إلى كلّ لفظة على أنّها كائن لغويّ مرتبط بالممارسات الإنسانيّة ويخترن تراثاً تاريخياً وثقافياً⁴¹.

إضافة إلى ذلك، وإذا كانت التّرجمة تعدّ رافداً من روافد البحث السيميائيّ في النّقد العربيّ والجزائريّ بصفة خاصّة، فإنّها يمكن أن تكون مصدراً لسوء فهم كثير من القضايا التّقديّة لاسيما المصطلحيّة، نتيجة تغييب مرجعيّة النّص التّقديّ المترجم، أي عدم الإلمام بالسياق التاريخيّ والأسس التّظريّة لهذا النّص. وربما يكون هذا الغياب هو السبب الرّئيس في صعوبة فهم وسوء استيعاب الفارئ العربيّ للمناهج التّقديّة العربيّة.⁴²

هكذا إذن، فإنّ التّعامل (الترجمة) مع مصطلحات أيّ منهج أو نظريّة من التّظريّات الغربيّة بإبعاد مرجعيّتها التّقافيّة والتّاريخيّة وأصولها العلميّة والمعرفيّة، يمكن أن يجعل من هذه المصطلحات "مجرد أدوات صمّاء خرساء لا يمكنها - وفق هذه الكيفية من الفهم والتّعامل والتّداول - أن تثري معرفتنا بالنّص الأدبيّ، ولا أن تخلق لدينا تراكمات معرفيّة يمكننا من تطوير طرائق تعاملنا معه."⁴³

⁴¹ ينظر: خمري (حسين)، الترجمة والسيميائيات، ضمن كتاب: "أهمية الترجمة وشروط إحيائها"، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص: 121.

⁴² ينظر: حليلة الشّبخ، ترجمة النّص التّقديّ وغياب المرجعيّة، ضمن كتاب: "أهمية الترجمة وشروط إحيائها"، ص: 61، 62.

⁴³ عقّاق (قادة)، مدخل إلى إشكاليّة ترجمة المصطلح في الخطاب التّقديّ المغاربيّ المعاصر، قسم اللّغة والأدب العربيّ، جامعة سيدي بلعباس، مخطوط، ص: 02.

*الاطّلاع على هذه المعضلة ينظر: بوخاتم (مولاي علي)، مصطلحات النّقد العربيّ السيميائيّ: الإشكاليّة والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكّتاب العرب، دمشق، 2005.

⁴⁴ ينظر: وغيلسي (يوسف)، إشكاليّة المصطلح في الخطاب التّقديّ العربيّ الجديد، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص: 229 وما بعدها. وينظر: وغيلسي (يوسف)، مناهج النّقد للنّشر الأدبيّ، جسور للنّشر والتّوزيع، ط1، الجزائر، 2007، ص: 100 وما بعدها.

نافذة تطلّ منها الثقافة المستقبلية على
المستجدّات الزّاهنة.⁴⁶

ويقف وراء إنجازها جملة من الدوافع والأهداف
تحدّث عنها الباحث في مؤلّفه، نوردها كالآتي:

- المشاكل والصعوبات التي اعترضت سبيل
الباحث أيام تدريسه للنظرية السيميائية في
جامعة تلمسان. وهذه الصعوبات ناجمة عن
ضعف الطلبة وعدم استعدادهم في التعامل مع
هذا المنهج الجديد.

- التّشبيث بالمناهج التّقليدية القديمة وإقصاء
التيار النقدي السيميائي الجديد.

- الاضطراب والفوضى المصطلحية التي ميّزت
الترجمات العربية بسبب الاختلاف الناشئ بين
النقاد والباحثين السيميائيين.

- قلّة البحوث السيميائية والترجمية ذات التوجّه
الغريماسي.

- غياب استراتيجية بحث وتنسيق بين الباحثين
والنقاد السيميائيين العرب.⁴⁷

وبهذا فهو يندرج ضمن استراتيجية البحث
السيميائي التي حدّدتها رابطة السيميائيين
الجزائريين، التي تأسّست في جامعة سطيف سنة
1998، ويعدّ الباحث "رشيد بن مالك" أحد
مؤسّسيها والتي ترمي إلى جملة من الأهداف
أهمّها:

- إقامة علاقات صلة وترابط بين السيميائيين
في العالم.

- الارتقاء بالمستوى النظري والتطبيقي
للممارسات السيميائية.

- نشر وتوزيع الدراسات والأبحاث السيميائية
التنظيرية والتطبيقية.

- ترجمة المفاهيم والأبحاث السيميائية إلى اللغة
العربية.

- خلق قنوات تواصل وحوار وتبادل للمعارف
السيميائية بين الباحثين في العالم.⁴⁸

عربية لمصطلحي Narratologie السرديات
وNarrativité السردية⁴⁵ (علم السرد، علم
القص، السردانية، الساردية، الحكائية،
السردولوجيا، النراتولوجية، القصصية، نظرية
القصة، النظرية السردية، علم الرواية، دراسة
السرد، دراسة الرواية، دراسة الحكاية، التحليل
السردية، علم السرد القصصي... وغيرها).

في ظلّ هذا الوضع الاصطلاحي الذي لا
يبعث على الارتياح، ووعيا منه بهذه المعضلة
العصيبة التي تهدّد الخطاب النقدي العربي
المعاصر، حاول الباحث "رشيد بن مالك" أن
يسهم في إيجاد حل لتجاوز الإشكالية
المصطلحية والترجمية السيميائية الزّاهنة، من
خلال وضعه لقاموس يضبط مصطلحات
التحليل السردية السيميائية في توجّهه
الغريماسي، بطريقة علمية مبسطة، يسهل معها
فهم دلالات هذه المصطلحات واستيعاب أصولها
العلمية والمعرفية، وكذا الاستعانة بها في إدراك
ما ورد في البحوث السيميائية المعاصرة.

يعدّ قاموس مصطلحات التحليل السيميائي
للنصوص (عربي، إنجليزي، فرنسي) للباحث
"رشيد بن مالك" عملا معجميا متخصصا
(السيميائية السردية)، فهو عمل نادر قلّ نظيره
في الساحة النقدية الجزائرية والعربية بصفة
عامّة، إذ يشتمل على أكثر من ثمانمائة مادة في
مجال التحليل السيميائي للنصوص السردية.

يهدف هذا القاموس التّلاثي اللّغة (عربي،
إنجليزي، فرنسي)، فيما يهدف إليه إلى إقامة
جسر للتواصل العلمي بين القارئ العربي
والمعرفة السيميائية الحديثة، فهو يحاول - من
خلال وحدة موضوعه وتوحد مصطلحاته -
تجاوز تلك العوائق المصطلحية التي أشرنا إليها
سابقا، عبر ترقية اللغة العربية، باعتبارها
المستفيد من المنقول إليها، مما تحوّل معه هذا
القاموس إلى وسيط بين ثقافتين مختلفتين، وإلى

⁴⁶ ينظر: السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغاربي
المعاصر (نظرية غريماس نموذجًا)، (مخطوط)، دكتوراه دولة في
الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس،
1994، 1993، ص: 375.

⁴⁷ ينظر: ابن مالك (رشيد)، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي
للنصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر،
2000، ص: 05-13.

⁴⁸ ينظر: ابن مالك (رشيد)، المصدر السابق، ص: 08، 09.

⁴⁵ ينظر: غليسي (يوسف)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي
العربي الجديد، ص: 286.

كما أن المدّة التي استغرقها تأليف هذا القاموس (من سنة 1983 إلى سنة 1997 عشرين سنة من الزمن) هي كفيّلة بأن تجعله يتبوأ هذه المكانة المرموقة بين البحوث السيميائية العربيّة، ويكتسب حظاً وافراً من التّفتيح والتّهذيب والتّنظيم والتّدقيق.

بيد أن جهداً فردياً كهذا، على الرّغم من أهمّيته الكبيرة ضمن الجهود المصطلحيّة العربيّة، إلا أنّه لا يزال بحاجة إلى المراجعة والضّبط والتّفتيح والتّدقيق، لاسيّما بعد ظهور العديد من التّيارات النّقدية والسيميائية المعاصرة، وكذا تداول بعض التّرجمات المصطلحيّة الجديدة؛ لذلك فإنّ ما يؤخذ على الباحث في هذا القاموس، اكتفاؤه - في كثير من الأحيان - بتعريب بعض المصطلحات السيميائية والمحافظة على صورتها الأجنبيّة، رغم توفّر مصطلحات مقابلة لها في اللّغة العربيّة.

ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول الآتي*:

المصطلح باللّغة الفرنسية	المصطلح باللّغة الإنجليزيّة	المقابل باللّغة العربيّة (التّعريب)
Motif Sémantème Sème Sémème Sémiologie Sémiosis Thématique Thème Topique (Espace) Utopique (Espace)	Motif Semanteme Seme Semees Semioly Semioss Themac Theme Topic (Space) Utopic (Space)	إيزوتوبيا (القاموس): ص:93 موتيف (ص:115) سيمنتيم (ص:164) سيم (ص:167) سيميم (ص:169) سيمبولوجيا (ص:170) سيمبوزيس (ص:178)، 194 نيمي (ص:237) تيم (ص:238) طوبيقي (فضاء) (ص:240) إيطوبيقي (فضاء) (ص:247)

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ النّاقّد "رشيد بن مالك"، قد اكتفى بتعريب هذه المصطلحات دون أن يكف نفسه عناء البحث في إيجاد مقابل عربيّ لها، وذلك ربّما لعدم اطلاعه على بعض

وقد اعتمد الباحث في تأليف هذا المعجم السيميائيّ على مجموعة من الأعمال الزائدة في هذا المجال، وفي مقدّمها، القاموس السيميائيّ المعقلن "لغريماس" و"كورتيس" الذي شكّل نقطة ارتكاز حقيقة لهذا البحث، بالإضافة إلى إفادته من بعض المعاجم العربيّة مثل: معجم اللّسانيات "لبسام بركة"، والمعجم الفلسفيّ "لجميل صليبا"، والمعجم الأدبيّ "لعبد النور جبور"، فضلا عن بعض الجهود النّقدية المترجمة لنقاد غربيين أمثال: "آن إينو"، "رولان بارت"، "تودوروف"، "جيرار جينيت"، و"أمبيروتو إيكو".

كما اعتمد الباحث "رشيد بن مالك" في ترتيب المصطلحات الواردة في قاموسه على طريقة التّرتيب الأبجائي الفرنسيّة دون أن يفصل بين كلّ مجموعة وأخرى من هذه المصطلحات حسب حروف المعجم، وقد ذيل كل مادة تتعلّق بشرح مصطلح من هذه المصطلحات بإحالة أو أكثر ليتسنى للقارئ فهمها فهما دقيقاً يمكّنه من إدراك دلالاتها العميقة والمختلفة. إضافة إلى ذلك فقد استعان الباحث في شرح هذه المصطلحات وتحليلها بالأشكال الهندسية والرسومات التوضيحية، التي تمثّل أداة من الأدوات المنهجية المهمة بالنّسبة للنّاقّد "رشيد بن مالك"، نظراً لما تقدّمه هذه الرسومات من معارف علمية قد تعجز التراكمات الوصفية في الكلام عن بلوغها وإدراكها.⁴⁹

في النّهاية يمكن القول إنّ أهميّة هذا القاموس تكمن في كونه يقدّم مادة علمية سيميائية خصبة للقارئ العربيّ، فالمصطلحات السيميائية التي يتضمّن هذا المعجم تعدّ مفاتيح وركائز أساسية لأيّ مقارنة سردية، فهي بمثابة الضوابط العلميّة التي لا يمكن أن يستغني عنها الباحث السيميائيّ في تحليلاته للنّصوص السردية. وزيادة على ذلك، فقد أسهم القاموس بشكل إيجابي في تجاوز بعض مشاكل الترجمة وفوضى الاستعمالات المصطلحيّة.⁵⁰

⁴⁹ ينظر: شرشار (عبدالقادر)، تحليل الخطاب الأدبيّ وقضايا النّص، ص: 114-115. وينظر: عفاق (قادة)، السيميائيات السردية وتجلياتها في النّقد العربيّ المغربيّ المعاصر، ص: 376.
⁵⁰ ينظر: شرشار (عبدالقادر)، تحليل الخطاب الأدبيّ وقضايا النّص، ص: 118.

*: أشار الباحث الجزائريّ عفاق قادة إلى بعض هذه المصطلحات في بحثه المذكور سابقاً (السيميائيات السردية وتجلياتها في النّقد العربيّ المغربيّ المعاصر)، ص: 377.

- الالتزام بقواعد الترجمة، وعرض كل المصطلحات المترجمة على الهيئات والمجامع المهتمة بشؤون العربية، للنظر في صلاحيتها وتداولها والمصادقة عليها.
- قيام الجامعات العربية بتدريس مادة النظرية العامة للمصطلحية.
- تشجيع البحوث في النظرية المصطلحية، العامة منها والخاصة.⁵²

يبقى أن نشير في الأخير إلى أن تجربة نقدية مثل التي نهض بها الباحث "رشيد بن مالك" - في جانبها التنظيري - خليفة بأن تنبؤاً مكانتها ضمن الجهود السيميائية العربية الجادة والمتميزة، التي تعمل بلا شك على إشاعة الفكر السيميائي في الأوساط النقدية العربية، والتأسيس لخطاب نقدي سيميائي يروم سبر أغوار النصوص السردية ويمكن من ولوج عوالمها التخيلية. كما أنها تتم - من جانب آخر - عن دقة منهجية وتحكم واضح في استعمال المصطلح السيميائي، إضافة إلى استيعاب مقولات النظرية السيميائية السردية التنظيرية والإجرائية انطلاقاً من محاضنها الأصلية وهو الميدان الذي لا يشق للباحث -رشيد بن مالك - فيه غبار.

المراجع:

- المراجع باللغة العربية:
- بوخاتم (مولاي علي): مصطلحات النقد العربي السيميائي: الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- المصطلح والمصطلحية الجهود والطرانقية، مخبر النقد والدراسات الأدبية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص: 134-140. وينظر أيضاً: بوخاتم (مولاي علي)، مصطلحات النقد العربي السيميائي: الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (م س)، ص: 265، 286. وينظر أيضاً: مناد (إبراهيم)، اللغة العربية ومشكلة المصطلح، مجلة دراسات أدبية، ع1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 29.

المقابلات العربية المتداولة في الساحة النقدية المعاصرة⁵¹، أو ربما لعدم اقتناعه بهذه الترجمات، ففضل طريق التعريب والترجمة الحرفية.

بناء على ذلك وعلى الزعم مما يبذل من جهود في مجال ضبط المصطلح النقدي السيميائي المعاصر، إلا أننا نلاحظ - من خلال ما سبق - وبالنظر إلى واقع الإصطلاح النقدي في الوطن العربي - أنه لا يزال يتخبط في مزالق منهجية لا حصر لها، أدت إلى تعثر خطابنا النقدي وغموض جهازه المصطلحي، ولاسيما مصطلحات التحليل السردية السيميائية.

ولتجاوز هذه المعضلة المصطلحية أكد بعض الباحثين والدارسين على ضرورة إقامة استراتيجية للحوار والتواصل بين الباحثين والنقاد في الوطن العربي، تخص طرائقية وضع المصطلح وترجمته.

- وهذه الاستراتيجية تقوم على مجموعة من المبادئ والاقتراحات، من بينها:
- الانطلاق في وضع المصطلحات وترجمتها من الجهود الجماعية المنسقة.
- إقامة الحوار وفتح مجالات التواصل بين الأقطار العربية.
- التنسيق بين الهيئات، والمنظمات، والمجامع اللغوية، والمؤسسات التعريبية.
- تشجيع مخابر البحث في اللسانيات والمعاجمية.
- العمل على تأصيل المصطلح السيميائي واللسانياتي، وتحريره من التبعية المطلقة للصياغة العربية.
- العمل على وضع مصطلحية سيميائية عربية موحدة، تراعي خصوصية اللغة العربية.
- الاستفادة من الموروث التراثي العربي اللغوي والبلاغي في الصياغة المصطلحية.

⁵¹ الذي ترجم إلى العربية بالشاكل، المشاكلة، التناظر، التماثل، مجانسة، مشابهة، النظيرة، isotopie: مثل مصطلح القطب الدلالي، التناظر الدلالية، المتجانسات الدلالية، التناظر الموضوعي، التناظر الدلالي، محور التواتر، الانتشار والانحصار... وغيرها. ينظر: وعليسى (يوسف)، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص: 265.

- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، 1.
- مناهج النقد للنشر الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007.

المراجع الأجنبية:

- A. j. (Greimas), j. (Courtes), *sémiotique dictionnaire raisonné, de la théorie du langage*, hachette, paris, 1979, p: 259

المجلات والدوريات:

- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، منشورات مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع ع4، 2005.
- مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، ع04، 1996.
- مجلة دراسات أدبية، ع1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

الرسائل العلمية والمخطوطات:

- عقق (قادة): السيميائيات السردية وتجلياتها في النقد العربي المغربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجاً)، (مخطوط)، دكتوراه دولة في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس، 1994، 1993.
- هامل (بن عيسى): واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، رسالة ماجستير (مخطوط)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2005، 2006.
- عقق (قادة): مدخل إلى إشكالية ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغربي المعاصر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة سيدي بلعباس، مخطوط.

الرشد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004.

- الجابري (محمد عابد): نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص: 37.

- الذغمومي (محمد): نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، المغرب، ط1، 1999.

- شرشار (عبدالقادر): تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2006.

- العبد (بمنى): في معرفة النص الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

- ابن مالك (رشيد): مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2000.

- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي- إنجليزي- فرنسي)، دار الحكمة، الجزائر، 2000.

- البنية السردية في النظرية السيميائية، دار الحكمة، الجزائر، 2001.

- السيميائية: أصولها وقواعدها (ترجمة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002.

- السيميائية: مدرسة باريس (ترجمة)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

- تاريخ السيميائية (ترجمة)، منشورات مخبر الترجمة والمصطلح، جامعة الجزائر، ودار الآفاق، الجزائر العاصمة، 2004.

- السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

- السيميائية: الأصول، القواعد، والتاريخ (ترجمة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

- مجموعة من المؤلفين: كتاب: "أهمية الترجمة وشروط إحيائها"، دار الهدى، الجزائر، 2007- وغليسي (يوسف):